

انطباعات من زيارة لفلسطين

جوليان غور- بوث

عدت إلى فلسطين في شهر نوفمبر ٢٠٠٥ لأول مرة منذ أكثر من عقد من الزمن. وقد علمت أن الكثير سيكون قد تغير إلى الأسوأ. فالقيود المفروضة على الحياة اليومية أصبحت اليوم أشد ما كانت عليه حسبما أذكر. ولكن تغييراً واحداً بالأخص خلفني واجماً.

الحياة في الغيتو

ولا يستطيع الفلاحون الراغبون في فلاحه حقولهم العبور إليها إلا بتصاريح وفي «أوقات محددة» وصارمة تبلغ مدتها ١٥ دقيقة في الصباح الباكر أو في أواخر فترة الظهيرة، وبعدها وبمجرد منح التصاريح لمرة واحدة، يتم سحبها، حيث يمثل هذا شكلاً آخر من أشكال العقاب، والقرى التي اعتادت

إن الحاجز الاسرائيلي الفاصل المزعوم هو عمل وحشي وكارثة سياسية وإنسانية تهدد أي تسوية نهائية تتحقق بالتفاوض، فهو يعزل القدس عن باقي المدن، ويفصل بين المزارعين وحقولهم، ويفرق بين العائلات، ويشكل مصدر إهانة للشعب الفلسطيني.

يتوغل الجدار في عمق الضفة الغربية، ويبدو

وكل المدن والبلدات الرئيسية محاطة بحواجز تفتيش دائمة، ويبدو المشهد على المداخل المؤدية إلى مدينة القدس والقادمة من رام الله وبيت لحم وكأنه أسوأ صور الحدود الدولية بمشهد الطوابير الممتدة لمئات الأمتار أسفل أبراج المراقبة والألواح الإسمنتية للجدار، ويمكن أن يستغرق الفلسطينيون ثلاث أو أربع ساعات للوصول إلى أماكن عملهم، والضفة الغربية مقسمة الآن إلى خمس مناطق على الأقل حيث يسهل التحرك فيها على المستوطنين والدوليين بينما يتعثر التحرك فيها بشكل كبير على الفلسطينيين بحيث يكاد أن يكون مستحيلًا.

وتعتبر مدينة القدس الفلسطينية نفسها من أشهر الغيتوات المقامة حديثاً، ومن الجدير بالذكر هنا أن علامات الفصل هي الأبغض، فلم يعد بإمكان سكان الضفة الغربية دخول المدينة بدون إصدار تصاريح وبدون المرور بحواجز تفتيش ليس لها نهاية، وأصبح المقدسيون معزولين عن ممتلكاتهم في الجانب الآخر، ويشعر الفلسطينيون في مدينة القدس بمزيد من العزلة ومزيد من اليأس. لقد عشت من سنة ١٩٩٢ إلى سنة ١٩٩٤ في شقتين مختلفتين في القدس الشرقية وبيعدان عن بعضهما حوالي ١٠٠ متر، وتقع إحداها الآن في القدس الشرقية والأخرى، التي تقع في أبو ديس، منعزلة عن مدينة القدس في الضفة الغربية، والمتاجر والعائلات التي اعتدت أن أزورها بمجرد عبوري للطريق منعزلة الآن عن بعضها البعض، ولم يعد باستطاعة الشيوخ الذين قضوا حياتهم يصلون في المسجد الأقصى الصلاة هناك الآن، ولا يستطيع الأطفال الوصول إلى مدارسهم.

وبما أنني أحمل جنسية أجنبية فإنني مررت عبر حواجز التفتيش بكل يسر، وتظاهرت بأنني سائح أو كنت ببساطة ألوح بجواز سفري في وجه الجنود الذين يشكون في أمر الجميع، وبما أنني أجنبي صعدت على متن طائرة وعدت إلى ديارى، وبما أنني أجنبي فإنني أشعر بالحرج والخجل.

جوليان غور- بوث هو مدير مؤسسة كريم رضا سعيد، وهي منظمة غير حكومية مقرها لندن وتعمل على التأثير بشكل إيجابي ودائم على حياة الأطفال والشباب في الشرق الأوسط. (www.krsf.org)، وبريده الإلكتروني: director@krsf.org



أن تكون حية وحافلة بالتنقل أصبحت ساكنة، وجهر الإسرائيليون أنفسهم بالقول وعارضوا بناء الجدار ومن بينهم جنرالات متقاعدين في الجيش - ولا تزال عملية البناء مستمرة. إن الجدار وحواجز التفتيش والعوئع الترابية والتصاريح التي لا نهاية لهل تحصر الفلسطينيين ليعيشوا في غيتو مغلق، حيث أصبحت البلدات معزولة والقرى منقطعة عن أسواقها بالإضافة إلى تعثر الحصول على الخدمات الأساسية مثل العناية الصحية والمستشفيات.

أن المستوطنات ستتوسع بدلاً من أن تشكل جزءاً من المفاوضات، ويفسح مسار الجدار لهم المجال للتوسع، فهناك مناطق في المحور الغربي للضفة الغربية يمتد الجدار فيها ليعبر الخط الأخضر دون أية أسباب ظاهرة سوى مصادرة أجزاء من أخصب الأراضي الموجودة التي تركها الفلسطينيون، ومصادرة مياه الطبقات الصخرية المائية التي تتدفق قرب سطح الأرض على طول معظم مساحة هذه الأراضي، وربما هذا سبب أكثر أهمية للإسرائيليين.